



جامعة القاضي عياض  
UNIVERSITÉ CADI AYYAD  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

مجلة العلوم الإنسانية

# خفاف

مجلة علمية محكمة



العدد الثالث - 2019

# صفاف

مجلة علمية محكمة

العدد الثالث - 2019

مجلة فصلية علمية ومحكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
بجامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب

المدير : عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
عبد الرحيم بنعلي

المنسق العام : جمال راشق

اللجنة العلمية

السيدات والسادة الأساتذة:

**GRAVARI BARBAS Maria**, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUNA Abdellah**, CERGé, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

لجنة التحرير

السيدات والسادة الأساتذة

ثريا بركان- جمال راشق- خديجة الزاهي- سعيد بوجروف  
عبد الرحيم بنعلي - محمد موهوب

عناوين التواصل

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صندوق بريد 3737

أمرشيش - 40000 مراكش - المغرب

الهاتف : 00212524302742 الفاكس : 00212524302039

البريد الإلكتروني : revueflm@gmail.com الموقع : http://www.flm.uca.ma.ac

الايداع القانوني: 2018PE0010

ردمدم: 2605-6410

لوحة الغلاف للفنان ماحي بنين

تعبر المقالات عن آراء أصحابها فقط

صفاء

مجلة العلوم الإنسانية

مجلة 'صفاء' كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش

## شروط النشر

- مجلة ضفاف مجلة علمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث والأعمال التي تدخل في مجال العلوم الإنسانية.
- مجلة فصلية.
- تنشر المجلة مقالات ودراسات وأبحاثاً أصلية لم يسبق نشرها ولا تقديمها للنشر.
- تخضع الأعمال المقترحة للنشر لشروط البحث العلمي المتعارف عليها من حيث التوثيق وذكر المصادر والمراجع المعتمدة.
- تعبر الأبحاث المنشورة بالمجلة عن آراء أصحابها.
- تقدم الأبحاث في نسخة مطبوعة ونسخة إلكترونية.
- تلتزم المقالات بالمعايير التقنية للنشر بالمجلة، فتكتب المقالات العربية بخط 14 Sakal majalla والمقالات بالحرف اللاتيني بخط 11 Times New Roman.
- تكتب الهوامش أسفل الصفحة بخط 10 Times New Roman.
- ينبغي ألا تزيد صفحات البحث عن 20 صفحة..
- يذكر الباحث اسمه واسم بنية البحث والجامعة-المؤسسة التي ينتمي إليها في الصفحة الأولى.
- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه مستقلاً عن المقال.
- يكتب ملخص للبحث بلغة غير اللغة التي كتب بها.
- تخضع المقالات والبحوث المقدمة للمجلة للتحكيم، ويلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون في أجل أقصاه 15 يوماً بعد توصله بها.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في عدم نشر أي بحث لا يستجيب لشروطها.
- لا ترد الأبحاث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- تحتفظ المجلة بحقوق التأليف وإعادة النشر الورقي أو الإلكتروني للمقالات المنشورة بها.
- المقالات المقدمة للنشر لا يجب أن تنتهك حقوق مؤلفين أو ملكية أطراف آخرين.





# مجلة العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة

العدد الثالث - 2019

إصدار كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة القاضي عياض - مراكش - المغرب



# شكر

تتقدم هيئة تحرير مجلة "خفاف" للعلوم الإنسانية  
بخالص تشكراتها لكل من ساهم في إغناء هذا العدد،  
كما توجه شكرها الجزيل للأساتذة الأجلاء الذين لم  
يتروا في قراءة المقالات وتقييمها وتعيمها.

هيئة التحرير



# فهرس المحتويات

|          |   |
|----------|---|
| 9.....   | كلمة العدد  |
|          | عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية  |
| 11.....  | تقديم   |
|          | عبد اللطيف البرينسي ومحمد الخداري   |
| 13.....  | أنهار المغرب القديم من خلال المصادر القديمة                                   |
|          | عبد اللطيف البرينسي   |
| 23.....  | توطين المدن المغربية التاريخية وعلاقتها بالنهر: محاولة في الجغرافيا التاريخية |
|          | أحمد الحلاسي  |
| 47.....  | النهر في الاستراتيجية العسكرية السعدية : واد المخازن أنموذجا                  |
|          | توفيق محمد القبائي  |
| 65.....  | المدن الواحية : تأثير التعمير ونمط العيش على البيئة بتزنيت                    |
|          | محمد مسكيت وخديجة الزاهي  |
| 85.....  | مظاهر الهشاشة بالمجال الواحي المغربي، حالة واحات إقليم كلميم                  |
|          | لحسن بلالي، صلاح الدين طبلاط،<br>عبد القادر اسباعي، خلف الغالبي               |
| 103..... | التقارب الثقافي الاسلامي الألماني "جوته أنموذجا"                              |
|          | مولاي الصديق سلاح الحق  |

- الذاكرة الجمعية الاستهلاكية دراسة في سوسيلوجية الاستهلاك والتبضع  
بالمساحات التجارية الكبرى بمراكش ..... 121
- يوسف زكار
- الفلسفة والتقليد السحري بالأندلس : المجريطي ومدرسته ..... 145
- محمد البوغالي
- الاقتضاء والحساب المنطقي للدلالة عند فريجه ..... 175
- سعيد النكر
- شلاير ماخروإشكالية بناء قانون للثيولوجيا ..... 201
- حمادي هباد
- الأحكام المسبقة والوعي التاريخي عند هانز غيورغ غادامر ..... 227
- أحمد الفرحان

## كلمة العدد

يسعدنا أن نقدم لجمهور القراء الأعزاء العدد الثالث من مجلة ضفاف التي تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، وهو عدد حافل بالمقالات العلمية الغنية والمتميزة، والتي حرصت هيئة تحرير المجلة ولجنة قراءتها على أن تعمل ما في وسعها لكي تخرج المجلة لعموم الباحثين من طلبة وأساتذة ومهتمين في أحسن حلة .

ونغتتم فرصة صدور هذا العدد، لنعرب عن تقديرنا البالغ للمجهودات التي تبذلها لجنة التحرير مشكورة، في مختلف مراحل إعداد وإخراج هذا المشروع العلمي الطموح سواء تعلق الأمر باختيار وانتقاء المادة العلمية، أو عمليات طباعة ونشر كتيبه، مقدرين حرصها على الأصالة العلمية، واحترام ضوابط النشر.

إن النهج الأكاديمي المتبع، والخط التحريري الملتزم به، لمن شأنهما أن يكسبا هذه المجلة، ومن خلالها المؤسسة التي تنتهي إليها، حظوة كبيرة بين جبهة الباحثين، وأن يرقيا بها إلى مصاف الإصدارات العلمية المتميزة ليس على الصعيد الوطني والعربي فحسب بل على المستوى الدولي، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المكانة التي تحظى بها جامعة القاضي عياض إفريقيا ودوليا. ويعود الفضل في كل ذلك إلى تضافر جهود الأساتذة والإداريين والتقنيين، فلهم منا جميعا جليل الشكر والثناء.

ويطيب لي أن أوجه تقديري كذلك للسيدات والسادة الأساتذة الباحثين الذين أغنوا هذا العدد بمساهماتهم العلمية القيمة، سواء المنتمين إلى كليتنا أو العاملين بمؤسسات جامعية أخرى، موجها الدعوة للجميع من أجل تجديد المشاركة وإغناء الأعداد المقبلة بدراساتهم وأبحاثهم، كما لا تفوتني الفرصة دون أن أوجه طلبتنا الباحثين الشباب في سلك الدكتوراه من أجل الانخراط الجدي في الإنتاج العلمي، وبلورة مشاريعهم البحثية في مقالات، تستجيب للمتطلبات العلمية والفنية التي يسعى هذا المنبر إلى نشرها.

لقد حرصنا أشد ما يكون الحرص على أن يصدر هذا العدد كسابقه، مستوفيا للشروط والضوابط العلمية والفنية، ولما بمختلف التخصصات المعرفية في العلوم الإنسانية. ومن جهة ثانية أن تكون محتويات هذا العدد وفقا للمسار الذي رسمناه جميعا للمجلة باعتبارها منبرا للقراءات والمقاربات المنهجية والدراسات الجادة التي يقترحها مختلف الباحثين المتخصصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومما زادنا سرورا وغبطة كون



الأبحاث التي يتضمنها هذا العدد، سواء المقدمة باللغة العربية أو الفرنسية، تطرح مجموعة من القضايا المعرفية والمنهجية، كما تطرح بعض المقاربات الاستمولوجية، إضافة إلى المقترحات العلمية والتطبيقية في ميادين متعددة تعنى بالإنسان والمجال الطبيعي بكل أنماطه الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وهي مساهمات علمية رصينة لمختصين بارزين وباحثين شباب في الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة.

أملنا أن يجد القارئ الكريم ما يشبع نهمه العلمي ويغذي زاده المعرفي من خلال المواد المنشورة، وسعينا كذلك أن نكون قد أسهمنا في مواصلة بلورة الهدف النبيل الذي تنشده مجلتنا، حتى تكون منبرا علميا جديرا بالتقدير، يجد فيها الباحثون ضالهم، ويتحقق من خلالها الإشعاع الكبير لمؤسستنا ولجامعتنا.

والله ولي التوفيق

عميد الكلية

ذ. عبد الرحيم بنعلي

## تقديم

لعب الماء دورا مهما في نشوء الحضارات وفي تطور المجتمعات الإنسانية، وبالرجوع إلى اهتمامات الباحثين بموضوع الماء نلاحظ أن ظهور الإيكولوجيا كحقل معرفي سمح، ومنذ مؤسسيه الأوائل أمثال (Jean- Baptiste Lamarck - Alexander Von Humboldt)، لباحثين من حقول معرفية مختلفة بالوقوف عند أهمية الماء ومعالجة قضاياها انطلاقا من اعتباره عنصر اندماج الإنسان في بيئته.

أفضت هذه الدراسات والأبحاث إلى اعتبار الماء عنصرا فعالا وبنويا في العلاقات المجتمعية والإقليمية والدولية، وضروريا في بناء السياسات العمومية. تعامل المجتمع المغربي، كباقي المجتمعات، عبر حقبة التاريخية مع عنصر الماء في حل كثير من قضاياها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

يصعب جدا تناول موضوع "الماء" في يوم دراسي أو في لقاء علمي واحد، بل لا بد من تنظيم حلقات ولقاءات دراسية متتالية. وارتأت شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض ومجموعة البحث: "الماء : التاريخ والتراث"، المنتمية لمختبر "المغرب والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط: التاريخ - التراث- الموارد"، ومختبر "الجبال الأطلسية : المجالات الترابية والتنمية المستدامة"، أن يكون أول موضوع في سلسلة هذه الحلقات هو "النهر في تاريخ المغرب" من خلال عقد ندوة وطنية يومي 30- 31 ماي 2013 م برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش، من خلال محورين أساسيين:

- المحور الأول : النهر والاستقرار، الذي ركز على دور الأنهار في استقطاب واستقرار

الإنسان وفي تطور التجمعات السكنية والمدن.

- المحور الثاني: النهر والأنشطة الاقتصادية، الذي عالج ارتباط بعض جوانب النشاط

الاقتصادي بالأنهار.

لم تقتصر مداخلات الزملاء السادة الأساتذة المشاركين في الندوة على المحورين المذكورين، بل شملت مواضيع أخرى عالجت موضوع النهر من خلال مقاربات مختلفة في أربع جلسات :

- أسطوغرافية النهر بالمغرب.

- النهر والتجمعات السكانية.

- النهر : الاقتصاد والمجتمع.

- النهر بالمغرب: تاريخ وتراث.

وننشر في مجلة ضفاف للعلوم الإنسانية بعض مداخلات الندوة التي توصلت بها هيئة تحرير المجلة، والبعض الآخر سبق أنه نشره السادة الأساتذة في مجلات متخصصة.

ذ. عبد اللطيف لبرنسي

ذ. محمد الخداري

# الأحكام المسبقة والوعي التاريخي عند هانز غيورغ غادامر

أحمد الفرحان

جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

## Résumé

Nous cherchons à éclaircir, dans cet article, le rapport entre les préjugés (= héritage, langue, traditions, coutumes, mémoire collective ...) et la conscience humaine en présentant la conception de l'une des approches philosophiques contemporaines qui visaient à opposer la méthode à la vérité. Cet article est divisé en trois parties :

- ✓ Dans la première partie, j'examine la façon dont Gadamer a libéré la conscience historique de l'objectivisme
- ✓ Puis dans la seconde, j'examine la possibilité d'ouvrir la conscience historique aux préjugés et aux traditions sans passer par dans le dilemme des concepts modernes d'objectivité, de relativisme, d'universalité et de vérité absolue
- ✓ Et enfin dans la troisième partie, j'examine les concepts suivants : les préjugés, le dialogue, la langue et «Wirkungsgeschichte», en tant que concepts alternatifs capables de bien comprendre notre mode d'être dans le monde.

## مقدمة

ارتبط مفهوم الوعي التاريخي بالفلسفات التاريخية المعاصرة التي سعت إلى فهم الوجود الإنساني انطلاقاً من أنماط وجوده التاريخي. وشكّلت هذه الفلسفات ردّة فعل قويّة على التصورات العقلانية والأمبيريقية للوعي الإنساني. هذه التصورات التي حكمتها نزعة منهجية موضوعية في تحديد طرق معرفة الإنسان لذاته وللعالم. ومن مقتضياتها إيقاف وتعليق كل الأحكام المسبقة خارج دائرة الوعي الإنساني ومواجهة العالم بالإمكانات الذاتية التي يوفرها المنهج عقلياً كان أم أمبيريقياً.

أدّت العمليّة التطهيرية التي مارستها النزعة العقلانية الحديثة على الوعي الإنساني عن طريق "مسح الطاولة" و"التعليق" إلى عزله عن كل أواصر الانتماء الحميمي إلى العالم الذي

يوجد فيه ويسكنه. وبات الحديث عن تفاقم النزعة التقنية وخيبة العالم والاستلاب من مظاهر الأزمة المعاصرة للوجود الإنساني.

نسعى في هذا المقال إلى توضيح علاقة الأحكام المسبقة (= التراث واللغة والتقاليد والأعراف والذاكرة الثقافية...) بالوعي الإنساني من خلال عرض تصوّر إحدى المقاربات الفلسفية المعاصرة التي سعت إلى معارضة المنهج بالحقيقة؛ معارضة غايتها تخلص الحقيقة من قبضة المنهج الوضعي الذي يستبدّ بكل فهم ممكن متحرّر من المقارنة بين الروح والشيء. والذي ميّز بين الإنسان ككيان روحي يسعى إلى الفهم، وليس كيانا ماديا يبحث عن التفسير. الفهم بما هو تبصّر وحكمة وليس التفسير بما هو التعليل والعقلنة. وهذه المعارضة هي من نتاج سقوط الفلسفات التاريخية النقدية ذات التوجه الكانطي في الفخ المنهجي الوضعي الذي حاولت النجاة منه بفضل اجتراحها لمفهوم "الوعي التاريخي".

وينقسم المقال إلى ثلاثة أقسام: الأول بحث في الطريق التي سلكها غادامر لتحرير الوعي التاريخي من النزعة الموضوعية، والثاني بحث في إمكانية افتتاح الوعي التاريخي على الأحكام المسبقة والتراث دون السقوط في مأزق المفاهيم التقليدية عن الموضوعية والنسبية والكونية والحقيقة المطلقة، والثالث اختبار المفاهيم الآتية: الحكم المسبق والحوار والتجربة اللغوية و "الوعي المتأثر بفعل التاريخ"، بوصفها مفاهيم بديلة قادرة على تمكيننا من قراءة تراثنا الإنساني ومصالحتنا بذواتنا وتاريخنا والعالم الذي يأوينا.

## 1. نحو تحرير الوعي التاريخي من النزعة الموضوعية

يذهب الفيلسوف الألماني هانز غيورغ غادامر (Hans-Georg Gadamer) في كتابه الرئيس: الحقيقة والمنهج<sup>1</sup>، إلى الكشف عن محدودية الأطروحة المنهجية ذات النزعة الموضوعية في الفلسفة والعلوم الإنسانية. ومن بين المبادئ الكبرى التي يقوم عليها مفهوم المنهج في الفلسفة والعلوم الإنسانية الحديثة: الشك في مصداقية الأحكام المسبقة، وتعليق كل ما يرتبط بها من معارف ساذجة، ونوازع ذاتية انطباعية، وكل ما أنتجته وتحفظه الذاكرة الجماعية من نصوص وتقاليد وممارسات ثقافية واجتماعية وعادات ترسّخت في التفكير والفعل. فلا صوت فوق صوت العقل، ولا سلطة فوق سلطة النقد الذي يحاكم قدرات العقل على المعرفة والتشريع. ووفق هذه الأطروحة المنهجية أصبحت معرفة الظاهرة الإنسانية في

---

1GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, traduit par Pierre Fruchon, Gean Grendin et Gilbert Merlio, Seuil, Paris, 1996.

الفلسفة والعلوم الإنسانية الحديثة تتوقف على قدرة الذات الإنسانية على المعرفة بعيداً عن كل الأحكام المسبقة. وتتجسد قدرة الذات الإنسانية على المعرفة من خلال قدرتها على موضعة الظاهرة الإنسانية طلباً في تحصيل قوانين كلية وضرورية.

يتبين من خلال وقوفنا عند مشروع غادامر أنّ معركته الفكرية الكبرى ليست معركة ضدّ التوجّه الطبيعي في تفسير الظواهر الإنسانية؛ لأنّ هذه المهمة النقدية سبق وأن تكفل بها هوسرل (Husserl) عند نقده لأزمة العلوم الأوروبية، وتكفل بها أيضاً مارتين هيدجر (Heidegger) عندما نفى قدرة العلوم الطبيعية على التفكير، وحصرها ضمن "علوم الآلة أو الأورغانون" أي العلوم التي تأخذ بتحليل العبارات الصورية المجردة، ولا تأخذ بتأويل الإشارات، إنّما هي معركة ضدّ دعاة الموضوعية في العلوم الإنسانية على منهج الفهم والتأويل؛ المنهج الذي يستعيد امتلاك الظاهرة الإنسانية ضمن السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي قصد فهم تعبيراتها الفردية الدالة على الحياة سواء كانت نصوصاً أو علامات أو رموزاً، وعلى رأسهم رانكه ودرويزن وديلتاي (Ranke, Droysen, Dilthy)، وهذا لأن مجرد الحديث عن "منهج" في الفهم والتأويل يقتضي تغريب الذات القارئة/المؤولة عن الانتماء إلى العالم واتخاذ موقف "معرفي موضوعي" اتجاه الظاهرة المدروسة.

والتغريب في نظر غادامر هو الافتراض المسبق لكل نزعة منهجية في دراسة الظواهر الإنسانية، أو بالأحرى، إنّ عزل الذات القارئة/المؤولة عن تجربتها التاريخية في العالم هو ما يسمّيه غادامر بالتغريب (Verfremdung). إذ يعمل التغريب، الذي ينتج عن موقف معرفي منهجي للذات الإنسانية في معرفة ذاتها والعالم، على تحطيم كلّ أواصر الانتماء الأصيل إلى معنى العالم، فيصبح العالم أمامها مجرد ظواهر طبيعية وأشياء تقبل التكميم والتعميم. أي: مجرد ظواهر تفتقد إلى معنى الحياة بوصفها خبرات ذاتية تعاش ضمن ممارسات اجتماعية ونفسية وجمالية... وتحمل دلالات عملية في الوجود التاريخي للإنسان، لأنّ «التغريب هو، في الحقيقة، أكثر من مجرد إحساس أو نزوة؛ إنّ الافتراض الأنطولوجي المسبق الذي يدعم التوجّه الموضوعي للعلوم الإنسانية»<sup>1</sup>.

يحاول غادامر أن يخلّص الوعي الإنساني من الاغتراب الذي يعانيه أمام العالم الذي صار موضوعاً للتمثّل وليس عالماً للتداول. وذلك بإضفاء الوعي التاريخي على نمط وجود

1 RICOEUR (Paul), *Du texte à l'action*, édition Seuil, Coll. Points. Paris 1998, p.106.

الإنسان في العالم، وليس أمام العالم كما هو الأمر في التقليد العقلاني.

ويرى غادامر أنّ الوعي التاريخي « ميزة الإنسان الحديث: هذا الإنسان الذي أصبح على وعي مشبع بتاريخية كل الحاضر ونسبية كل الآراء »<sup>1</sup>. ويرتبط مفهوم الوعي التاريخي بمفهوم آخر وهو: "المعنى التاريخي" للوجود الإنساني. ويفيد هذا المعنى أن وجود الإنسان في العالم يتوقف على قدرة "المؤرخ" في إعادة بسط معنى الماضي الذي يسكننا على نحو حميم، وقد يبدو لنا غريبا من حيث عدم قدرتنا على فهمه. إنّ « امتلاك معنى تاريخي، هو الفتح المبين لكل سذاجة طبيعية تجعلنا نحاكم الماضي انطلاقا من مقاييس يمكن القول عنها إنها من بديهيات حياتنا اليومية، وتوجد في منظور مؤسساتنا، وهي من منظور قيمنا والحقيقة المكتسبة »<sup>2</sup>. والامتلاك التاريخي عند غادامر يدلّ على كلّ تفكير يعبر عن الأفق التاريخي الذي يمتدّ في حياتنا اليومية التي نحياها، وحياتنا التي عشناها. وكل تفكير في الوضع التاريخي للإنسان هو تفكير في التقاليد الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي ينتهي إليها، أي: الوضع التاريخي المشروط بالانتماء إلى التراث، هذا الانتماء الذي يكون موضوع التفكير التأملي. « إن التفكير التأملي في التراث يعني التأويل »<sup>3</sup>. والتأويل في الهيرمينوطيقا المعاصرة مع غادامر وامتداداتها « لم يعد ينطبق على النصوص، وعلى التراث الشفوي فقط، بل على كل ما يأتي بنا به التاريخ : كأن نتحدث عن تأويل الحدث التاريخي، والتعبيرات الروحية، وتعبيرات الوجه، وتأويل السلوك، إلخ. ما يعني أن كل معطى مباشر يتطلب وساطة تأويلية لاكتشاف الدلالة "الحقيقية" الخبيثة »<sup>4</sup>. كما أن فن التأويل المعاصر لم يعد محصورا فقط على توضيح بعض المقاطع المستغلقة في النصوص على الفهم، كما انتشر استعماله مع الفيلولوجيين واللاهوتيين في علم التأويل الكلاسيكي، بل أصبح نمط فهم يخص الوعي الإنساني المحكوم بشرطه التاريخي. إنه الوعي الإنساني الذي لم يعد قادرا على "مسح الطاولة" والتنكّر للذاكرة والأحكام المسبقة.

---

1 GADAMER (Hans-Georg), *Le problème de la conscience historique*, édition établie par Pierre Fruchon, édition Seuil, traces écrites. Paris 1996, p.23. (Conférences ont été prononcées en français par Hans-Georg, GADAMER, en 1958, à l'institut supérieur de philosophie de l'université de Louvain)

2 GADAMER (Hans-Georg), *Le problème de la conscience historique*, Op.cit., p.24.

3 Ibid., p. 25.

4 Ibid., p. 25.



## 2. الوعي التاريخي أمام الأحكام المسبقة وسلطة التراث

استفاد غادامر من كتاب الوجود والزمن، لأستاده مارتن هيدجر<sup>1</sup>؛ هذا الكتاب الذي يكشف فيه هيدجر عن نمط وجود الإنسان في العالم بوصفه وجوداً زمانياً لا ينفصل فيه عن تاريخية الوجود عامة. وأنّ الوعي مهما ادّعى موقفاً منهجياً صارماً من "الفهم المسبق" الذي يرتبط بالذاكرة والوجود معاً، فإنّه لا يعمل إلاّ على التعميق من حدة النسيان الأنطولوجي الذي يجعله يرى في تمثّل الموجود ضمن مقولات الوعي المحض الحقيقة بعينها، في حين يتناسى أنّ مقولات الوعي تنغرس في البنى الأنطولوجية المؤسّسة للبراكسيس.

لقد وجّهت أطروحة هيدجر الأنطولوجية عن بنية "الفهم المسبق" الذي يحكم نمط وجود الإنسان في العالم، فكَرَّ غادامر نحو استعادة مفهوم "الأحكام المسبقة"، الذي أبعدته فلسفة المنهج الديكارتية وامتدادها الأنواري في تأسيس الوعي الإنساني، ولم تكن ترى فيه سوى عائق أمام قدرة العقل على إثبات ذاته إثباتاً شفافاً يطبعه الوضوح والتميّز.

استعاد غادامر، بذلك، مفهوم "الأحكام المسبقة" إلى دائرة الوعي الإنساني من خلال التنقيب عن أصول مجاله التداولي في تاريخ الأفكار، الذي انتهى به الأمر إلى الوقوف عند استعماله القانوني في الاصطلاح الألماني قبل مجيء عصر الأنوار، إذ يقول: « فتعبير حكم مسبق préjudice يعني بالفعل حكماً judgment تمّ اتخاذه قبل الفحص النهائي لكلّ العناصر التي تحدّد عمق قضية ما. ف"الحكم المسبق"، هو قرار قانوني أو قضائي، سابق عن كل حكم نهائي قطعي يتمّ التوصل إليه فيما بعد، في حق الشخص المتورّط في نزاع قانوني، أثناء الممارسة القضائية. وعلى نحو موافق لذلك، تعني préjudice [مكتوبة في النص الأصلي بالألمانية بالفرنسية]، والكلمة اللاتينية Praejudicim، تحمّل تبعه الفعل، وضرراً، وسلبية أو قصوراً. وهذا المعنى السلبي يؤثر في النتائج. إنّ ما يؤسّس النتيجة السلبية يعتمد بالضبط على الصّلاحية الإيجابية، أي قيمة القرار القضائي التمهيدي بوصفه حكماً مسبقاً، مثل قيمة أيّ شيء سابق<sup>2</sup>».

يحاول غادامر أن ينقّب عن معنى "الحكم المسبق" في مجال التداول القانوني، لأنّ عصر الأنوار المليء بالمحاكمات الفكرية والسياسية هو عصر يستمدّ روحه التنويرية من

1 HEIDEGGER (Martin), *Etre et Temps*, Tr. Vezin, Gallimard, Paris, 1983.

2 GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, Op.cit., p. 291.

الفكر العلمي التجريبي، الذي يتأسس على الوعي المنهجي المحكوم بالترعة الوضعية في ضبط قوانين الظواهر الطبيعية. هذه الترعة الوضعية التي أيقظت الفكر السياسي والحقوق من سباته اللاهوتي، فاستبدلت القانون الطبيعي بالقانون الإلهي. يكفي أن نشير إلى فولتير ورسائله الفلسفية<sup>1</sup> المشبعة بالروح السياسية الدستورية البريطانية والتي شكلت أساس فكره التنويري، وإلى روسو وكتابه: العقد الاجتماعي ومبادئ القانون السياسي<sup>2</sup>، وإلى مونتسكيو وكتابه: روح القوانين<sup>3</sup>، ودولباخ وكتابه: نظام الطبيعة، بحث في قوانين الطبيعة وقوانين الأخلاق<sup>4</sup>، وكانط ودعوته إلى محاكمة العقل في كتابه: نقد العقل المحض، دون الحديث عن مقاله: في التنوير، حيث يدعو إلى الاستعمال العمومي للعقل، فيما يشبه محاكمة الأحكام المسبقة، وترسيخ قوانين التشريع الذاتي.

إن الغاية التي يصبو غادامر إصابتها في تنقيبه، هذا، هو تجديد فهمنا لمفهوم "الحكم المسبق" بالتنقيب في أصوله التداولية ضمن التجربة اللغوية المعيشة التي تحكم أفقه التاريخي، وذلك لكي يكشف، لنا، أن 'الحكم المسبق' لا يفيد معنى الحكم الخاطئ مقابل الحكم الصائب. وهاهنا، يذكرنا بالغاية التي حكمت الشك الديكارتية في الأحكام المسبقة بوصفها أحكاما خاطئة تمنع الحسن السليم أو العقل من استنباط اليقين، وإصدار الحكم الصائب<sup>5</sup>. إذ يقوم التصور الحديث للمنهج على الحكم المؤسس، أي: الحكم الذي يستند إلى أساس في الأشياء ذاتها. ومنه فالذات الإنسانية كثيء مفكر عند ديكرت هو الأساس ذاته الذي يتقعد عليه المنهج في قيادة العقل والبحث عن الحقيقة واليقين في العلوم<sup>6</sup>. وهذه هي

---

1 VOLTAIRE (François-Marie Arouet), *Lettres philosophiques, Traité sur la tolérance, Dernier Ecrits sur Dieu*, Présentation par Roger-Pol Droit, LE MONDE DE LA PHILOSOPHIE, Flammarion, Paris, 2008.

2 ROUSSEAU (Jean-Jacques), *Du contrat social ou Principes du droit politique, et autres écrits autour du Contrat social*, introduction, commentaire et notes par Gerard MAIRET, Le livre de poche, Classiques de la philosophie, Librairie Générale Française, Paris, 1996.

3 MONTESQUIEU (Charles Louis de Secondat), *De l'esprit des lois*, présentation par Jean-François Mattéi, LE MONDE DE LA PHILOSOPHIE, Flammarion, Paris, 2008.

4 D'HOLBACH (Paul Henri Dietrich), *Système de la Nature : Ou Lois du monde physique & du monde moral*, PUF, Collection coda, Paris, 2008.

5 GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, Op.cit., p. 298-299.

6 DESCARTES (René), *Discours de la méthode*, introduction, dossier et notes par Denis Moreau, LE LIVRE DE POCHE, Classiques de la philosophie, Librairie Générale Française, Paris, 2000. p. 65.

الروح العقلانيّة التي أسهمت في إضعاف الثّقّة بالأحكام المسبقة. والشّرط الذي يحكم كلّ معرفة علميّة طبيعيّة أو إنسانيّة في استبعاد هذه الأحكام كليّاً، لأنّها أحكام تفتقد إلى "الأساس" في الأشياء ذاتها،<sup>1</sup> وتتوسّل في إصدار الحكم بسلطة من خارج طبيعة الأشياء ذاتها باعتبارها سلطة دينيّة أو تاريخيّة أو ثقافيّة.

وعلى هذا التّهجّ سلكت فلسفة الأنوار طريقها في تأسيس المعنى التّاريخي للتّقدّم العقلي للإنسان، والذي شهد نقداً قوياً من طرف المدرسة التّاريخيّة الرّومانيّة الألمانيّة في حينها للماضي، وتمجيد التّقاليد والعادات والأعراف الفنيّة واللغويّة والثّقافيّة والاجتماعيّة بوصفها تعبيراً عن العظمة الرّوحيّة للأمة الجرمانيّة. وبقدر ما يظلّ غادامر مشدوداً إلى جاذبيّة الأصالة الرّوحيّة للثقافة الجرمانيّة مستثمراً في ذلك الإرث اللاهوتي والفلسفي الرّوماني للبرمينوطيقا مع كلّ من شلايرماخر (Schleiermacher) وهمبولدت (Humboldt) وديلتاي (Dilthey) وهيدجر (Heidegger)، بقدر ما يحاول أن يخفّف من تطرّف موقفها النّقدي ضدّ فلسفة الأنوار، إذ «نجد غادامر يؤاخذ على الفلسفة الرّومانيّة موقفها النّقدي من فلسفة الأنوار الذي ينسب على عكس القضية: "من أجل" إلى "ضدّ"، أو بالأحرى من "ضدّ" "لأجل"، دون أن تنجح حقّاً في زحزحة الإشكاليّة نفسها وفي تغيير أرضيّة النّقاش. وبالفعل، فإنّ الحكم المسبق هو مقولة لفكر الأنوار، مقولتها الخاصّة بامتياز، التي تقوم على شكل مزدوج للعجلة (الحكم بسرعة) والوقاية (اتباع العادة، السّلطة) والحكم المسبق هو ما يجب التّخلّص منه للبدء في التّفكير والتّجرؤ عليه حسب المثل الشّهير: sapere aude، وذلك لبلوغ عصر الرّشد، لـ Mündigkeit<sup>2</sup> وتختصرها عبارة: تجرّأ على استعمال فهمك الخاص! وهذه هي العبارة التي افتتح به كانط مقاله الشّهير: "ما التّنوير"<sup>3</sup>.

1 GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, Op.cit., p. 291-292.

2 RICOEUR (Paul), *Du texte à l'action*, Ed. Seuil, Coll. Points, Paris 1998, p. 372-373.

3 «les lumières, c'est la sortie de l'homme hors de l'état de tutelle dont il est lui-même responsable. L'état de tutelle est l'incapacité de se servir de son entendement sans la conduite d'un autre. On est soi-même responsable de cet état de tutelle quand la cause tient non pas à une insuffisance de l'entendement mais à une insuffisance de la résolution et du courage de s'en servir sans la conduite d'un autre. Sapere aude! Aie le courage de te servir de ton propre entendement! Voilà la devise des Lumières». Emmanuel KANT, *Vers la paix perpétuelle. Que signifie s'orienter dans la pensée ? Qu'est-ce que les Lumières ?* Présentation par Françoise Proust, Traduction de Jean-François Poirier et Françoise Proust, GF, Flammarion, Paris, 2006, p. 43.

عملت الفلسفة الرومانسية على التشكيك في أطروحة الأنوار التي ترى أن "الحكم المسبق"، يشكّل عائقاً في معرفة الذات لذاتها والعالم معرفة يقينية، تستند إلى المنهج العلمي العقلي والتجريبي، ومعطلاً لتقدّم العقل والتاريخ نحو الرفاه والازدهار الحضاري للمجتمع الإنساني على جميع الأصعدة المعرفية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والسياسية. ويعدّ هذا التشكيك تأسيساً أولياً لمشروعية العودة لمراجعة فكر الأنوار، والكشف عن محدودية ادعاءاته الكبرى في تحرير العقل الإنساني من الأحكام المسبقة، ولكن هذا التأسيس رافقه إخفاق منهجي، يتمثل في قلب الجواب عن سؤال نفي الأحكام المسبقة في استعمال العقل، وتقدّمه بدل قلب السؤال ذاته: «إن الرومانسية تخوض معركتها على الأرض المحددة من طرف خصمها، ألا وهي دور التراث والسلطة في التأويل. وعلى هذه الأرضية نفسها، وفي نفس تربة السؤال نفسه، نجد الرومانسية تشيد بالميتوس بدلاً من أن تحتفي باللوغوس، وتدافع عن القديم على حساب الجديد، وتناصر المسيحية التاريخية ضدّ الدولة الحديثة، والعشيرة الأخوية ضدّ الاشتراكية القانونية، واللاوعي العبقري ضدّ الوعي العقيم، والماضي الأسطوري ضدّ مستقبل البيوتوبيات العقلية والمخيّلة الشعرية ضدّ المماحكة الباردة. إن الهيرمينوطيقا الرومانسية، تربط على هذا النحو مصيرها بكل ما يمثل الإحياء»<sup>1</sup>.

تحاول هيرمينوطيقا الوعي التاريخي لغادامر أن تتأى بنفسها عن الحنين الماضي المتطوّر، الذي وقع فيه المذهب الرومانسي، دون نكران دور "الماضي" في الكشف عن محدودية الوجود التاريخي للكائن الإنساني بوصفه كائناً ملقى به في العالم، يجد نفسه منتصباً انتماءً حميمياً إلى تقليد أو تراث، يتحدّى إمكانات فهمه لذاته وللعالَم الذي يحيا فيه، وكلّ ادّعاء يقوم على الرّفص الجذري والقطعي لهذا التراث لا يزيد الوعي الإنساني إلاّ اغتراباً عن فهم ذاته وعالمه المألوف. إنّها تطمح إلى استعادة الأحكام المسبقة في فهم نمط وجود الإنسان التاريخي في أفق نقدي يستحضر مكتسبات فكر الأنوار.

هنا يميّز غادامر بين نوعين من الحكم المسبق: الأحكام المسبقة المتسرّعة والأحكام المسبقة الوقائية، فالأولى لا تجد مكاناً متميّزاً في هيرمينوطيقا الوعي التاريخي لغادامر، لأنّها تظلّ في نظره أحكاماً مسبقة معطّلة للفهم وغير مشروعة؛ والثانية تحظى بقيمة نقدية متميّزة عنده، لأنّها ميسّرة للفهم ومشروعة.

---

1 RICOEUR (Paul), *Du texte à l'action*, Op. cit., p. 373-374.

ترتبط "الأحكام المسبقة" الميسرة للفهم والمشروعة عموماً بالسلطة التي تعمل على ترسيخها كدليل يعتد به في الاستدلال والاحتجاج لقضية ما، وغالباً ما ارتبط مفهوم السلطة في فلسفة الأنوار بالهيمنة والقمع والعنف، لأنها في الأصل سلطة كنسية مدعومة سياسياً. ومن هنا، اتجه دعاة الأنوار إلى فضح الوجه القبيح للسلطة الكنسية، ومن ثم سلطة الدين التشريعية التي تصدر حق العقل في إصدار الحكم الصادق دون استناد إلى تعاليم النص المقدس. فعمل دعاة الأنوار على تحرير العقل من كل وصاية خارجية، وتطهيره من كل الأحكام المسبقة بما فيها "الخرافات الباطلة للتعاليم الدينية"، التي تمنعه وتعيقه عن التفكير والتشريع. هذا الربط الذي عقده فكر الأنوار بين السلطة والهيمنة أو السيطرة والعنف، هو ما يرفضه غادامر، ويدعو إلى التدقيق في تحليل العلاقة بين السلطة والهيمنة والعنف، « إن التحليل يعاني من عيب منذ فكر الأنوار، بسبب الخلط بين الهيمنة والسلطة والعنف، وهنا يفرض التحليل نفسه جوهرياً. ففي نظر فكر الأنوار، يكون للسلطة، بالضرورة طرف معاكس هو الطاعة العمياء، غير أن السلطة في جوهرها لا تقتضي شيئاً مثل هذا. صحيح أن السلطة تعود قبل كل شيء إلى أشخاص؛ وسلطة هؤلاء الأشخاص لا تقوم في الأساس على خضوع العقل وطاعته، إنما تقوم على فعل الاعتراف والمعرفة: الاعتراف بأن الآخر متفوق علينا في الحكم وفي التبصر، وبأن حكمه يتقدم علينا وله الأسبقية على حكمنا. كذلك، في الحقيقة، فإن السلطة لا يتنازل عنها ولا توهب، بل تكتسب، ويجب بالضرورة أن يكتسبها من يدعي أنه الأجدر بها، إنها تستند إلى الاعتراف، وبذلك تستند إلى فعل عقل، وإن كان واعياً بحدوده، يمنح ثقته للآخرين باعتبارهم أكثر تبصراً. وبهذا المعنى، فإن السلطة، تكون مفهومة في معناها الصحيح؛ لا يكون للسلطة أية علاقة مع الطاعة العمياء لأمر معطى. بالتأكيد، ليس للسلطة علاقة مباشرة بالطاعة، فهي ترتبط مباشرة بالمعرفة»<sup>1</sup>.

يسعى غادامر إلى إعادة الاعتبار لمفهوم السلطة العلمية أو الأدبية، أي: سلطة الخبير بالأمور، هذه الخبرة التي يكتسبها المرئي من صناعته التربوية بالمران مع الزمن حتى ترسخ له ملكة عقلية خاصة، وذوق جمالي خاص، يستجلي به كنه الوقائع ومعاني الأحداث، كما هي سلطة الباحث الاجتماعي وسلطة المؤرخ، إنها سلطة لا تهيمن بالعنف على الآخر، بل هي سلطة تستدعي الاعتراف بها لفهم الوقائع والأحداث، وللتعاطي الإيجابي مع التنازل. والفائدة التي نجنينا من وراء الاعتراف بسلطة الخبير بالأمور؛ هي فهم الظاهرة الاجتماعية والتاريخية ضمن

1 GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, Op.cit., p. 300.

شرطها التاريخي بوصفها تنتمي إلى تقاليد وعادات المجتمع والثقافة. وانبثق هذا المفهوم الجديد للسلطة عن عبقرية الفكر الفلسفي الرومانسي الألماني، حيث يقول غادامر: « هناك شكل واحد من السلطة دافعت عنه الرومانسية دفاعا خاصا: إنه التراث، فكل ما يكرسه التراث المنقول والعرف، يمتلك سلطة مجهولة، ووجودنا المتناهي تاريخيا يتحدد بهذه السلطة للأشياء الموروثة التي تمارس تأثيرا قويا على مواقفنا وسلوكنا، وليس فقط على ما يبرر بأسباب عقلية. وكل تربية تستند إلى ذلك، وحتى حين يفقد المرء الوصي دوره في التربية عند بلوغ شخص ما مرحلة النضج ويصير حكيما قادرا على اتخاذ القرارات الشخصية بدلا من سلطة المرء، فإن هذا النضج لا يعني أن هذا الشخص أصبح سيّد نفسه بأن تحرّر من روااسب التراث، فالقوة الحقيقية للأفعال الخلقية، مثلا، تمتلك وتحفظ في نطاق أوسع سلطة مؤسسة على العرف والتراث. يتم تبني وتلقي الأفعال الخلقية بحرية، ولكنها ليست مبتدعة أو مؤسسة في صلاحيتها ببصيرة حرة. وهذا هو بالضبط ما ندعوه بالتراث: إنه فعل يفرض ذاته دون أن يكون مؤسسا على أسباب معقولة. ونحن في الواقع مدينون للرومانسية بهذا التصحيح لعصر الأنوار، فالتراث بفضل الرومانسية يحتفظ بحقه إلى جانب الحجج العقلية، ويستمر في التأثير على مؤسساتنا وسلوكاتنا تأثيرا واسعا. فما يجعل من أخلاق القدماء l'éthique des Anciens أرفع منزلة من فلسفة أخلاق الحداث La philosophie morale des modernes هي أنها تأخذ بالحسبان ميزة خاصة للتراث تؤسس التحوّل من الأخلاق l'éthique إلى "السياسة"، أي فن تشريع الحق. وبالمقارنة، فإن فكر عصر الأنوار الحديث تجريدي وثوري»<sup>1</sup>.

### 3. نحو قراءة تأويلية لسلطة التراث في الوعي التاريخي

ترفض هيرمينوطيقا الوعي التاريخي عند غادامر الاعتراف بمشروعية المنهج الموضوعي في فهم الظاهرة الإنسانية، لأنه لا يرى الموضوعية إلا في قدرة العقل المتأمل على وضع الموضوع أمامه تحت مراقبته الصارمة والدقيقة، وهذا هو أصل أزمة العلوم الإنسانية الأوروبية التي زادت من اغتراب الفرد بدل تأنيسه. تصبح الموضوعية، في نظر غادامر، مع العقل المؤلّ<sup>2</sup> بدل العقل المتأمل غير مراقبة ومرنة، تنفلت من نظام الصرامة المنهجية المقيدة نحو حياة القراءة التأويلية المتحررة، وما يمنحها هذه الميزة هو: سلطة التراث التي

1 Ibid., p. 301-302.

2 GREISCH (Jean), *L'âge herméneutique de la raison*, Les Edition du Cerf, Paris, 1985, p. 16-35.

توجّه عملياً قراءتنا لذواتنا ولعالمنا الذي نحيا فيه وننتهي إليه، وحيث إنّ التّراث ظاهرة لغويّة بامتياز، فإنّه يتوسّط علاقتنا بالواقع، وهو نفسه بصيغة ما الذي ينكشف ويهب نفسه بوصفه حقيقة<sup>1</sup>.

إنّ مسألة الظّاهرة الإنسانيّة ليست مسألة معيارية، تنبني على السّؤال المهيج الذي يستفسر عن حقيقة الشيء كما لو كانت حقيقة موضوعيّة كليّة وضروريّة، تتطلّب فقط القيادة السّليمة للعقل أو الضبط الدّقيق لأدوات التّجريب، بل هي مسألة تأويلية تنبني على السّؤال الحوارية الذي يستفهم عن حقيقة الشيء كما لو كانت انكشافاً للمعنى المنبثق في سيرورة الحوار الذي يقوم على الاعتراف المتبادل بين الدّات المؤوّلّة والآخر. إنّ ليس حواراً تطمح فيه الدّات المؤوّلّة/القارئ إلى اختراق نفسيّة الآخر والغوص فيها لفهم كنه المعنى الذي يجد تعبيره في العلامات والرّموز والتّصوص، وليس إعادة إنتاج للحياة المعيشة للحدث كما كان في الماضي، بل هو حوار بين طرفين، وكلّ من الطّرفين يوجد ضمن بنية فهم مسبقة، ينتهي كل واحد فيهما إلى التّراث ويخضعان لسلطته، حيث مع سيرورة الحوار يحدث المعنى بـ"انصهار آفاق"<sup>2</sup> توقّعات وانتظارات وعي كل طرف من الطّرفين، هذا، الذي لا ينفصل بالتّأكيد عن محدوديّة الشرط التاريخي الذي يحكم تحاورهما. أي : أنّ وعي الدّات المؤوّلّة/القارئ تبقى دائماً حبيسة «الوعي المتأثّر بفعل التّاريخ»<sup>3</sup> (Wirkungsgeschichte). كما أنّ الحوار يمكن أن يكون بين شخصين أو بين شخص ونص أو علامة أو رمز، فكلّ واحد من الطرفين تنطبق عليه شروط الفهم التي أتينا على ذكرها، أي: كل طرف يجد نفسه متميّزاً ومنقاداً تحت سلطة الفهم المسبق أو التّقليد أو التّراث الذي يهب مجموع التّوقّعات والانتظارات التي تحكم آفاق الفهم الممكن. ولكن ينبغي دائماً، مع غادامر، الانتباه إلى المسافة الزمنيّة الفاصلة بين الطّرفين، فقد تكون قريبة بقدر ما هي بعيدة، كما لو كنّا أمام نص تاريخي أو اجتماعي... يحكي عن حدث أو واقعة ما، أو كما لو كنّا أمام شخص نستجوبه عن معنى ظاهرة الفقر، أو ظاهرة العزوف عن الرّواج، أو ظاهرة العنف المدرسي في مجتمعه، فإنّ التصريحات التي يدلي بها هذا المستجوب، تتمّ عبر لغة متداولة ومستعملة، وتستضمّر المعاني والدلالات التي ترتبط بالشرط التاريخي لاستعمال اللغة كما ترتبط بالشرط التاريخي للمعاني

1 FREY (Daniel), *L'interprétation et la lecture chez Ricoeur et Gadamer*, Ed. Presses universitaires de France, Paris 2008, p. 186.

2 GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, Op. cit., p. 328.

3 Ibid., p. 322-329.



الدّالة على معنى الظّاهرة من خلال الأحكام المسبقة، والتّوقّعات التي تحكم وعي المستجوب؛ وفي الآن نفسه، فإنّ هذه التّصريحات الكلاميّة التي تدوّن أو تثبّت ضمن كتابة نصيّة لا تنفلت في قراءتها عن وعي الدّات المؤوِّلة/القارئ المحكوم بدوره بالشّروط التّاريخي للمعاني الدّالة على معنى الظّاهرة من خلال الأحكام المسبقة والتّوقّعات التي تحكمه. تصبح المسافة الزّمنيّة الفاصلة بين الطّرفين غاية التّأويل، لأنّ شرط الفهم هو الوعي بهذه المسافة الزّمنيّة، والمسافة الزّمنيّة هنا ليست فقط مسافة فيزيائيّة تعدّ بالأعوام والقرون والعصور، بل هي مسافة زمنيّة أنطولوجيّة مشروطة بالوعي التّاريخي. ينفلت الوعي الإنساني من انغلاق المنهج وسلطة البحث عن الحقيقة الموضوعيّة بوصفها معياراً للأحكام الكليّة والضروريّة نحو انفتاح الفكر، وسلطة انكشاف الحقيقة العمليّة بوصفها حكمة عمليّة، تكسبنا القدرة على التّبصّر في الأحداث والوقائع والتّوازل<sup>1</sup>.

يستغني غادامر عن مفهوم "الموضوعية" ذات التقاليد المنهجية الوضعية بمفهوم "التطبيق الفعّال". ويرى أنّ "التطبيق الفعّال" ملازم للفهم تلازماً آنياً وليس مرحلة تأتي بعد الفهم، إن التطبيق من سنخ الفهم، وهذا يعني نجاح المؤول في ربط المعنى بالوضع الوجودي الذي يختبره. وهذه هي الطريقة الاستدلالية التأويلية التي تتجاوز باقي أنظمة الاستدلال الصورية أو الاستقرائية، فالاستدلال التأويلي يقوم على تحقّق انخراط المعنى في سياق الإجابة عن تساؤلات المؤول التي هي من تساؤلات العصر الذي ينتمي إليه. وأصالة التأويل تكون في "فرادة المعنى" غير المتكرر في التقاليد والتراث. إن النص الذي يأتي به المؤول من رفوف الخزائن العتيقة ليستنطق قدرته على التعبير عن هموم العصر هو النص القادر فعلاً على الانخراط في نطاق الزمن الحاضر. وهنا يمنح فن التأويل أفقا جديدا للتأمل والتفكير.

1 تعرّضت أطروحة غادامير لانتقادات شديدة من طرف يورغين هابرماس وجاك بوفريس، وذلك لأنّها تفتح إمكانيّة تحوّل مشروعيّة الأحكام المسبقة في بناء الوعي الإنساني إلى إيديولوجيا لتبرير المتلطة و التّسيية الثّقافيّة أو الخصوصيّة الثّقافيّة، وقد عمل غادامر على توضيح هذه المسألة في كتابات متأخّرة. ومن بين أهم الكتب المؤثّة علمياً والتي عنت بتفاصيل المعركة الفكرية الكبرى للقرن العشرين بين غادامير و هابرماس، نجد كتاب:

- AGUIRRE ORAA (José Maria), *Raison critique ou Raison herméneutique ?*, les éditions du Cerf et Editorial Eset, Paris, 1998.

كما نجد كتاب جاك بوفريس الذي يطرح نقاشاً قوياً بين الهيرومنوطيقا واللسانيات من منظور فيلسوف اللّغة فتجنشتاين:

BOUVERESSE (Jaques), *herméneutique et linguistique, suivi de Wittgenstein et la philosophie du langage*, Editions de l'éclat, Paris, 1991.

## خاتمة :

يعلّمنا غادامر درساً مفيداً فيما يتعلّق بمسألة الوعي التاريخي، وفحواه أنّ أصالة الوعي الإنساني تكمن في "الإنصات" المتأني والنّبيه للتراث<sup>1</sup>. أي: ضرورة إعادة بناء الوعي الإنساني باستثمار التراث الذي هو جملة أحكام مسبقة تلاحق أشكال تفكيرنا وسلوكنا استثماراً تأويلياً.

لقد رفض غادامر كلّ مسعى منهجي يدّعي الإمساك بموضوعيّة الظاهرة الإنسانية، لأنّ كلّ ادعاء من هذا القبيل يضع الفهم الممكن للظاهرة الإنسانية خارج عصرنا. هذا العصر الذي كشف عن الأقنعة الزائفة لفلسفات الوعي المباشر، والموضوعية العلمية، والحقيقية المطلقة. فالذات الإنسانية تظلّ في فهمها لذاتها والوجود متأثرة بالسلطة التاريخية للتراث، بما هي أحكام مسبقة توجّه الفكر والسلوك، ومتناهية الفهم تحت الفعل التاريخي المؤثر في الوعي الإنساني. ولا مناص من فهم الظاهرة الإنسانية من خلال اللّغة التي تختبرها، ولا معنى لتأويل التجربة اللغويّة للظاهرة الإنسانية باختزالها إلى ظاهرة لغويّة لسانيّة موضوعيّة، تختزل معها كل غنى وثراء التجربة اللغويّة التاريخية للإنسان في عبارات مسكوكة ذات وظائف تقنويّة تواصلية. كما ينبغي استجلاء المعاني تبصّراً، بعيداً عن مقتضيات التحليل اللغوي الإسنادي الذي يسجن اللّغة ضمن قوالب "منطقية" جامدة، فالتبصّر في التجربة اللغوية أو الكلاميّة بحكمة عمليّة، تمكّننا من كشف غنى وثراء الدلالات التي تكتنز بها اللّغة بوصفها روحاً خلاقة للمعاني. وليس التبصّر إلّا نمط "التطبيق الفعّال" الملازم للفهم تلازماً أنياً في إمساكه بـ "فردة المعنى" المحتجبة خلف إمكانات الفهم التقليدي.

---

1 GADAMER (Hans-Georg), *La philosophie de l'herméneutique*, Avant-propos, traduction et notes par J. Grondin, Ed. PUF, Coll. Epiméthée, Paris 1996, p. 67.

## Bibliographie

1. AGUIRRE ORAA (José Maria), *Raison critique ou Raison herméneutique ?* Les Editions du Cerf et Editorial Eset, Paris, 1998.
2. BOUVERESSE (Jaques), *herméneutique et linguistique, suivi de Wittgenstein et la philosophie du langage*, Editions de l'éclat, Paris, 1991.
3. D'HOLBACH (Paul Henri Thiry), *Système de la Nature : Ou Lois du monde physique & du monde moral*, PUF, Collection, coda, Paris, 2008. (Publié en 1770)
4. DESCARTES (René), *Discours de la méthode*, intr. Dossier et notes par DENIS MOREAU, Le livre de poche, Classiques de la philosophie, Librairie Générale Française, Paris, 2000. (Publié en 1637)
5. FREY (Daniel), *L'interprétation et la lecture chez Ricœur et Gadamer*, Ed. Presses Universitaires de France, Paris, 2008.
6. GADAMER (Hans-Georg), *La philosophie de l'herméneutique*, Avant-propos, traduction et notes par J. Grondin, Ed. PUF, Coll. Epiméthée, Paris, 1996.
7. GADAMER (Hans-Georg), *Le problème de la conscience historique*, Edition établie par Pierre Fruchon, Ed Seuil, traces écrites, Paris, 1996.
8. GADAMER (Hans-Georg), *Vérité et Méthode*, traduit par Pierre Fruchon, Gean Grendin et Gilbert Merlio, Seuil, Paris, 1996. (Publié en 1960).
9. GREISCH (Jean), *L'âge herméneutique de la raison*, Les Edition du Cerf, Paris, 1985.
10. HEIDEGGER (Martin), *Etre et Temps*, Tr. Vezin, Gallimard, Paris, 1983. (Publié en 1929)
11. MONTESQUIEU (Charles Louis de Secondat), *De l'esprit des lois*, Présentation par Jean-François Mattéi, Le monde de la philosophie, Flammarion, Paris, 2008. (Publié en 1757)
12. RICOEUR (Paul), *Du texte à l'action*, Ed. Seuil, Coll. Points, Paris 1998. (Publié en 1986)
13. ROUSSEAU (Jean-Jacques), *Du contrat social ou Principes du droit politique*, et autres écrits autour du Contrat social, intr. commentaire et notes par GERARD MAIRET, Le livre de poche, Classiques de la philosophie, Librairie Générale Française, Paris, 1996. (Publié en 1762)
14. VOLTAIRE (François-Marie Arouet), *Lettres philosophiques, Traité sur la tolérance, Dernier Ecrits sur Dieu*, Présentation par Roger-Pol Droit, Le monde de la philosophie, Flammarion, Paris, 2008.

# RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture

N° 3-2019

Revue semestrielle, scientifique à comité de lecture, éditée par la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Cadi Ayyad – Marrakech - Maroc

## Directeur

Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

**Abderrahim BENALI**

## Coordination générale

**Jamal RACHAK**

## Comité Scientifique

**GRAVARI BARBAS Maria**, IREST, Université Paris 1 Panthéon-Sorbonne, France, **ELLOUMI Mohamed**, INRAT, Tunisie, **LAOUINA Abdellah**, CERGéo, Université Mohamed V Rabat, **DEBARBIEUX Bernard**, Université de Genève, Suisse, **NAVARRO PALAZON Julio**, Escuela de Estudios Arabes des Granada, CSIC, Espagne, **SKOUNTI Ahmed**, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, **GIRAUT Frédéric**, Département de Géographie, Université de Genève, Suisse, **HERNANDEZ ARMENTEROS Salvador**, Universidad de Granada, Espagne, **BOUBRIK Rahal**, Département de Sociologie, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Mohamed V de Rabat, **TOZY Mohamed**, UMRVIP et Sciences po, Aix en Provence, France, **PULVAR Olivier**, Université Antilles-Guyane, Centre de Recherche sur les Pouvoirs Locaux dans la Caraïbe – CNRS UMR 8053, **HILLALI Mimoun**, Institut Supérieur International de Tourisme, Tanger, Maroc, **PERALDI Michel**, directeur de recherche au CNRS et Centre Jacques Berque pour le développement des Sciences Sociales à Rabat (Maroc), **BOUMAZA Nadir**, Université Pierre MENDES France- Grenoble 2, **LANDEL Pierre – Antoine**, CERMOSEM, UJF, Mirabel – France, **PECQUEUR Bernard**, Institut de Géographie Alpine, PACTE (UMR CNRS 5194 – Université J. Fourier, Grenoble – France).

## Comité de Rédaction :

Abderrahim BENALI - Jamal RACHAK - Khadija ZAHI- Mohamed MOUHOUB  
Said BOUJROUF - Tourya BOURKANE.

## Adresse

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, B.P. 3737  
Amerchich – Marrakech 40000 Maroc  
Site web. <http://www.flm.uca.ma.ac> - Email : [revueflm@gmail.com](mailto:revueflm@gmail.com)  
Tél. 00212524302742 - Fax 00212524302039

Dépôt Légal : 2018PE0010

ISSN : 2605-6410

**Le tableau en couverture est de l'artiste peintre Mahi Binebine.**

*Les contenus des textes publiés dans la revue n'engagent que leurs auteurs.*



جامعة القاضي عياض  
UNIVERSITÉ CADI AYYAD

كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines

Revue des Sciences Humaines

# RIVAGES

Revue scientifique à comité de lecture



N° 3 - 2019